عجائب المخلوقات في كتاب الله

١

البقرة العجيبة

بقلم : عبدالسلام محمد بدوى
رسوم : إسماعيل د ياب

الطبعة الرابعة

دار المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

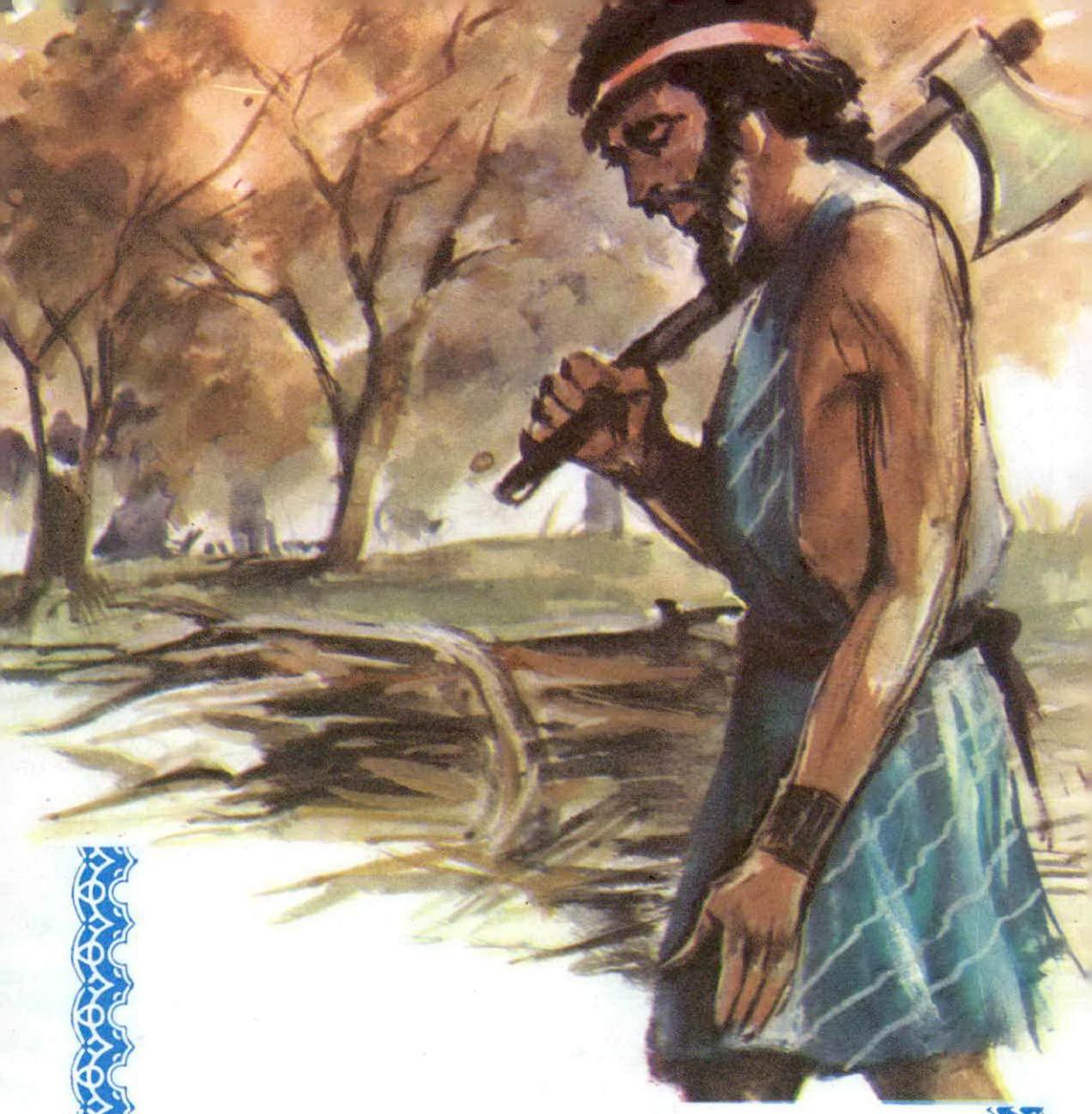

الشَّيخُ الصَّالِحُ :

كانَ فى بَنى إسْرَائِيل فى أيَّامِ موسى عَلَيْهِ السلام – رَجُلٌ حطّابٌ اسمُه « عُوفِيد » وكان شَيْخًا صَالحًا تَقيًّا . . يخافُ اللهَ ويَعْبُدُه . . فى السِّرِّ والعَلانِيَة .

يُؤدِّى لله حقَّه فى الصَّلاَةِ والصَّوْمِ والزَّكَاةِ . . ويَلْجَأُ إليهِ دَائِمًا فى كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ . . فَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ . . كُلَّما أهمَّهُ أَمرٌ . . أو شَغَلَهُ شَىْءٌ من هُمُومِ الدُّنْيَا وَمَشَاكِلِها ومَشاغِلِها . فَيَسْتَجيبُ اللهُ دُعَاءَه . . ويُفَرِّجُ كَرْبَه . . ويُزيلُ هَمَّه وغَمَّه ... لأنَّ اللهَ – سُبْحَانَه وتَعالى – بِعِبَادِهِ المُخْلِصينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ . . سَمِيعٌ كَرِيمٌ .

* * *

كان عُوفيدُ يَكْسِبُ قُوتَهُ من عَمَلِ يَدِهِ .

يَجْمَعُ الحَطَبَ من شِعَابِ الجِبَال . . ثم يَأْتِى فى المَسَاءِ . . فَيَبِيعُه بِمَبْلَغٍ من المالِ . . يَكْفِى حاجَتَه وحَاجَةَ أُسْرَتِه الصَّغِيرَةِ . . من غِذَاءٍ وكِساءٍ . . قَانِعًا بما يَرْزُقُهُ اللهُ . . رَاضِيًا بِنَصِيبِهِ القَلِيلِ من مَتَاعِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا .

وكَانَ يَعِيشُ مع زَوْجَتِه – قَطُورَة – تلكَ الزَّوجَةُ الوفيَّةُ المُخْلِصَةُ . . وطِفلِه الصَّغِيرِ « لاَوَى » فى غَايةِ الرِّضا . . ومُنْتَهَى السَّعادَة . . وكُلِّ القَنَاعَة .

وَيَلْتَزِمُ حُدُودَ اللهِ فى كلِّ شىءٍ . . يَجْتَنِبُ المُحَرَّمَاتِ . . وَيَتَحاشَى المُنْكَرَاتِ . . يَصْدُقُ دائمًا فى حَدِيثِه . . ويَزُورُ الفُقَراءَ من أهْلِه وذَوِى قُرْبَاه . . ويُكْرِمُ ضعيفَهُم . . ويُسَاعِدُ المُحْتَاجَ .

وكَانَ يُحِبُّ الناسَ كلَّهُم . . ويَتمنَّى الخيرَ لِلْجَمِيع . . فيُجامِلُهم فى أفْراحِهم . . ويُواسِيهِم فى أحْزَانِهم .

وتقدَّمَتِ السِّنُّ بِعُوفيد . . وشَابَ شَعْرُهُ . . وقَلَّ سَمْعُهُ . . وضَعُفَ

بَصَرُهُ . . وانْحَنَى ظَهرُهُ . . وأَحَسَّ بقُرْبِ أجَلِه .

ولم يكن يَمْلِكُ غيرَ عِجْلةٍ صَغِيرَةٍ من البَقَرِ . اسْتَطَاعَ أن يَدَّخِرَ ثَمنَها . . من الدَّراهِمِ القَلِيلةِ ، التى كانَ اللهُ يَرزُقُهُ بها كُلَّ يومٍ .

وفكَّرَ الشيخُ طَويلاً :

إنّه إذَا مَاتَ فَسَيَتْرُكُ فى الدُّنْيَا زَوْجةً عَجُوزًا . . لا حَوْلَ لها ولا قُوَّة . . ولا تَقْدِرُ على شَىْءٍ من كِفَاحِ الحياةِ وصِرَاعِها . وَسَيَتْرُكُ معها

ابنَهُ الصَّغِيرَ « لاوَى » وهو مازَالَ فى سِنِّ الصِّبَا وفى عُمْرِ الزُّهُورِ . فَمَنِ الّذِى يَرْعاهُما ويحفَظُهُما . . ويَسْعَى فى قَضَاءِ مَصَالِحِهِمَا . . وما يَلْزَمُهُمَا مِنَ الغِذاءِ والكِساءِ وَمَطالِبِ الحَياةِ ؟

وماذَا يكونُ مصيرُ هذه العِجْلَةِ الصَّغِيرةِ . . مَنِ الّذِى سَيَرْعاها ويربِّيها ؟ ! .

كلُّ هذِهِ الخَواطِرِ . . فَكَّرَ فيها هذا الشَّيْخُ العَجُوزُ – عُوفيد – ولكنْ سُرْعانَ ما أدركَتْه رَحْمَةُ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . . وهَبَّتْ على خَواطِرِه نَسْمَةٌ لطِيفةٌ من نَسَمَاتِ الإيمانِ . . فاسْتَعاذَ باللهِ مِن وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ ونَزَغَاتِه . . وتَذَكَّرَ أنَّ الله – سُبْحَانَهُ – هُوَ الّذِى يَرْعاهُمَا ويحفَظُهُمَا . . ويُدَبِّرُ لَهُما أَمْرَ رزْقِهِمَا بعد مَمَاتِهِ . . كما كَانَ يُدَبِّر له ولَهُما الرِّزْقَ فى حَيَاتِهِ .

نظَرَ إلى زَوْجَتِه قَطُورَةَ نَظْرَةً فيها كلُّ الرَّأْفةِ والشَّفَقَةِ . . ثُمَ قَالَ لَها :

« يا قَطُورَة » . . لَيْسَ عِنْدَنا غيرُ تلْكَ العِجْلَةِ الصَّغِيرَةِ . . وليسَتْ عِنْدَكِ قُدرةٌ على رعايتِها وتَرْبِيَتِها . وهذا ابْنُنَا الصَّغيرُ . . مازالَ فى سنٍّ لا يستطيعُ مَعَها القِيامَ بمثلِ تلكَ الأُمورِ . . فما رأْيُكِ فى هَذَا الأمْرِ ؟ . . وماذا نَصْنَعُ فى تِلْكَ العِجْلَةِ ؟ . .

فقالَتْ لَهُ بِصَوتٍ خَفِيضٍ رحيمٍ . . فيه رنينُ الزوجةِ المُطِيعَةِ . . ورقَّة الأُمِّ الحَنُونِ .

الرَّأْى لَكَ يا عُوفِيدُ . . فَبِماذا تُشِيرُ ؟ . . .

فقالَ لَهَا :

عِنْدِى فِكْرَةٌ . . ولعلَّك تُوَافِقِينَنِى عليها .

قالَتْ لَهُ :

قُلْ ما عِنْدَكَ يا زَوْجِي الحَبِيب .

قالَ :

أَنَا أعْرِفُ مكانًا مُنْعَزِلاً فى الوادِى . . يَجْتَمِعُ فيه الماءُ . . ويَنْبُتُ حولَهُ العُشْبُ الكثيرُ . . والحَشائِشُ الوَفيرةُ . . سأحاوِلُ أن أَذْهَبَ بهذِهِ العِجْلَةِ الصَّغيرَةِ . . فأترُكَها فى ذلكَ المكانِ الكثيرِ المِيَاهِ والأَعْشَابِ ، تَشْرَبُ من مائِهِ ، وتَأْكُلُ من حَشَائِشِهِ حتى تكبُرَ وتَنْمُوَ وتصيرَ بقرةً كبيرةً . ثم تُخْبِرى « لاَوَى » بمكانِها . . فيأتى بها . . وتَبيعُونَها . . ويَكُونُ ثَمَنُها عَوْنًا لكُم على الحَياة . فنظَرتِ الزَّوْجَةُ إلى الرَّجُل . . نظرة فيها الدَّهْشَةُ والتَّعَجُّبُ من قَوْلِهِ هٰذا . . ثم قالَتْ له : ماذا تَقُولُ أيُّها الشَّيخُ ؟ أَتُرِيدُ أَنْ تَتْرُكَ العِجْلَةَ . . الَّتى هى كُلُّ ما نَمْتَلِكُ من مَتاعِ الدُّنْيا . . فى مكانٍ بعيدٍ مَهْجورٍ . . إذا نَجَتْ فيه من عُيونِ اللُّصوصِ . . وقَعَتْ فى مَخَالِب الوحُوشِ ؟ ! .

فقالَ لَها :

كلا . . بل أتركُها هُنَاكَ فى رِعَايةِ اللهِ . . الَّذِى لا تَضِيعُ عِندَه الوَدَائِعُ . . وهو الكَفِيلُ بِحِفْظِها . . ورعايتِها . . إنْ شاءَ الله .

ثم أخَذَ العِجْلَةَ . . وَسَار بها إلى ذَلِكَ المكانِ البعيدِ . . وتركَها تَمْرَحُ بينَ الحَشَائِشِ والأَعْشَابِ . . ثم رَفَعَ يديْه إلى السَّماءِ . . قائلاً :

«اللَّهُمَّ إنى استَوْدَعْتُك هٰذِهِ العِجْلَةَ لابْنِى . . حَتَّى يَكْبُرَ . . فَارْعَهَا برعايتِك . . واحْرُسْها بعنايتِك . . إنَّكَ أنْتَ السَّميعُ العليم » .

ثُم عادَ إلى بيتِه . . حَيْثُ وافاهُ الأَجَلُ . . وَصَعَدَتْ رُوحُه إلى

رَبِّها . . راضيةً مرضيةً .

وجدَ الصَّبِىُّ اليَتيمُ « لاَوى » أنَّه صارَ مسئُولاً عن نفسِه . . وعن أمِّهِ العَجُوزِ . . إنَّها لا تستطيعُ العملَ لكَسْبِ قُوتِه وقُوتِها . . فقد تَقدَّمَتْ بها السِّنُّ . . وضَعُفَ جسمُها . . فهِى فى حاجَةٍ إلى من يُسَاعدُها على السّيرِ خُطُواتٍ فى داخِلِ الدّارِ .

اضْطُرَّ «لاَوى» إلى العَمَلِ ليكْسبَ ما يُنفقهُ فى غذائِهِ وغذاءِ أُمِّهِ . .

فحَمَل فأسَ أبيهِ وحَبْلَه . . وخرجَ إلى الْجَبَلِ يَجْمَعُ الحَطَبَ . . ثم يعُودُ آخِرَ اليومِ . . يَحْمِلُ مِنْهُ ما يستطيعُ حَمْلَه ويبيعُه فى السوقِ .

شبَّ الصَّبِىُّ « لاَوى » صالحًا مثلَ أبيه . . يُقَسِّمُ اللَّيْلَ ثلاثَةَ أقْسَام :

الثُّلُثُ الأول : يقومُ فيه برعايةِ أمّه . . وَقَضَاءِ حَوائِجِها . . فيُطْعِمُها ويَسْقِيها . . ويَغْسِل مَلابسَه وملابِسَها . . ويُجَهِّز لها مكانَ نَوْمِها .

والثُلُثُ الثَّانى : ينامُ فيه ليَسْتَرِدَّ نَشَاطَهُ . . ويَسْتَعِيدَ قوَّتَه . . اسْتِعْدادًا للسَّعْى والعملِ فى اليَوْمِ الجَدِيدِ .

ويقومُ فى الثُّلُثِ الأخيرِ : للصَّلاةِ وعبادةِ الله . . ولتَنَاوُلِ طَعَامِ الفطُور مَعَ أمِّه .

فإذا طَلَع الصُّبحُ . . خَرج بفأْسِهِ وحَبْلِه ، يجمعُ الحَطَبَ من الجَبَلِ ويبيعُهُ فى آخِرِ النَّهارِ . . ويَتَصَدَّقُ بثُلُثِ ثَمَنِه . . ويَشْتَرِى طعَامًا بالثُّلُثِ الثَّانِى . . ويُعْطِى أمَّه الثلُثَ البَاقى .

فكَانَت أمُّه تَدْعُو له ليلاً ونهارًا . . وتَسْأَلُ اللهَ أن يَرْعَاهُ ويحفظَه .

ومرَّ الزمنُ بالعِجْلَة . . التى تَركَها له أَبُوهُ . . فى ذَلِكَ المكانِ البعيدِ . . تأكلُ من أعْشَابِهِ . . وتَشْربُ من مَائِهِ . . وقَدْ أعْمَى اللهُ عَنْها عُيونَ الناسِ والوُحُوشِ . . حتى كَبرَتْ . . وسَمِنتْ . . وأصبحت مُتْعَةً للناظِرين .

صارَتْ بقرةً عجيبةً فى شَكْلِهَا . . جميلةً فى منظرِها . . تَسُرُّ العيونَ بلونِها الأصْفرِ الفَاقِعِ الجَمِيلِ ... فإذا نَظَرْتَ إليها . . تَرَى كأنَّ شُعَاعَ

الشَّمْسِ يَخْرُجُ من جِلْدِها من شِدَّةِ جَمَالِ لونها الأصفرِ .

وأخبرتِ الأمُّ وَلَدَها . . بما تَرَكَ له أبُوه فى ذلكَ المكانِ البعيدِ فَذَهَب إليه « لاوَى » وأحْضَر البَقَرَةَ . . وفَرِحَ بها فرحًا كبيرًا .

وإذَا أَرَادَ اللهُ تعالى . . أَنْ يُكْرِمَ شَخْصًا . . سبَّب له الأسبابَ . . وهَيَّأ لَهُ مِنَ الأمُورِ مَا لَم يَخْطُرْ له على بَال . .

وسَنَرَى فى أحْداثِ قِصَّتِنا هَذِهِ . . كَيْفَ رَتَّبَ اللهُ مِنَ الأمورِ . . ودَبَّرَ من الأحْدَاثِ . . ما جَعَلَ بنى إسرائيلَ يَشْتَرُونَ هذِه البقرةَ الجَمِيلَةَ العَجيبةَ من « لاوَى » بِمِلءِ جلدِها ذَهَبًا . . مع أن البقرةَ فى ذلك الزَّمنِ كان ثَمَنُها ثلاثَةَ دَنانِير .

هٰذِهِ الأحداثُ . . وتِلْكَ القصَّةُ . . ذَكَرَهَا اللهُ – سُبْحَانَهُ وتَعالى – لَنا فى سُورَةِ البقرة . . وهِيَ أَكْبَرُ سُورَةٍ فى القُرآنِ الكريمِ . . سمَّاها الله تعالى باسمِ تلكَ البَقَرَةِ الْعَجِيبَةِ – بَقَرَةَ « لاوى بنِ عُوفيد » .

وقَدْ أكرَم اللهُ بِها « لاوى » بِسَبَبِ رِضَاءِ أُمِّهِ عنْه . . ودُعَائِها له . .

الشَّيْطَانُ عَدوُّ الإنْسَان :

ومَرتِ الأيَّامُ . .

ولاوَى يَعِيشُ سَعِيدًا مَعَ أمِّه . . وهُما مِنْ بَنى إسْرَائِيل كما نَعْلَم . .

وكانَ فى بَنى إسْرَائِيلَ أيضًا رجلٌ اسمُه « يعقُوب » له أخٌ يدعى « رَعْو » . . وهما من سَبْطٍ من أسْبَاطِ بَنِى إسْرائِيل . . والأَسْبَاطُ فى بَنى إسرائِيل مثلُ القَبَائِلِ فى العَرَب .

قالَ « يعقوبُ » لأخيه :

ما قولُك يارَعْو فى « عَامِيلَ » ابْنِ عمِّنا ؟ .

فقال له « رَعْو » :

ماذا تَقْصِدُ يا يَعْقُوب ؟

قالَ :

أقصدُ يارَعْو أن « عَاميلَ » ابنَ عَمِّنَا . . عندَه أموالٌ كثيرةٌ . . وخيرٌ وفيرٌ . . عندَه الكثيرُ من الذَّهَبِ . . ويمتَلِكُ أعدادًا لا تُحْصَى من الجِمَالِ والبَقَرِ والغنمِ .

قال « رَعْو » :

أعْلَمُ هذا .

فقالَ « يعقوبُ » :

وتَعْلَم أيضًا أن « عَاميلَ » لَيْسَ له بَنُونَ ولا بناتٌ . . يَرِثُونَ تلكَ

الأموالَ الكثيرةَ بعد مَوْتِه . فأجاب رَعْو :

أعلمُ هذا أيضًا .

قال « يعقوب » :

ونحنُ فُقَراءُ كما تَرَى . . ليس عِنْدَنَا من المَالِ والأنعامِ شيءٌ . . ونَحنُ أَوْلَى بِهَذَا المالِ الذى يمتلكُه « عاميلُ » .

فقال « رعو » :

كلُّ هَذِهِ الأموالِ يايعقُوبُ لَنا . . بَعْدَ مَوتِ عَامِيلَ ابنِ عَمِّنا . . لأَنَّهُ لا وَارِثَ له سِوَانا . فقالَ يَعْقُوبُ ساخِرًا مُسْتَهْزِئًا . . وهو يَمُطُّ شَفَتَيْهِ ويرفعُ كَتِفَيْه : نَعَمْ بَعْدَ مَوْتِهِ . . ولكنْ متَى يَمُوتُ يارَعْو ؟ . . قد يَطُولُ به العُمْر . . حتّى نَمُوتَ نَحنُ . . ويدفِنَنَا هو بِيَدَيْهِ .

فقال « رَعْو » :

« مَاذَا تَقْصِدُ يَا يَعْقوبُ ؟ . . أَفْصِحْ عن غَرَضِك . . وَقُلْ مَاذَا تُرِيد » ؟ . .

قالَ :

أريد يارَعو أن نَقْتُلَ « عاميلَ » . . ونَرِثَ كلَّ هَذِهِ الأموالِ الضَّخْمةِ . فَشَهِقَ رَعْو . . شَهْقَةً عَمِيقَةً . . وقالَ مُسْتَغْرِبًا رأى أخيه : أتقولُ نقتلُ عَامِيلَ ابنَ عَمِّنا ؟ . . وماذَا يكونُ مصيرُنا لو قَتَلْنَاه . . وافتَضَحَ أمرُنا وَعَلِمَ الناسُ أننا نحنُ اللَّذيْنِ قتلْناه ؟ .

فَقَالَ يعقوبُ هامِسًا :

كلاّ يارَعْو . . لَنْ يَفْتَضحَ أمرُنا . . وقَدْ فكَّرْتُ فى كُلِّ شيءٍ . .

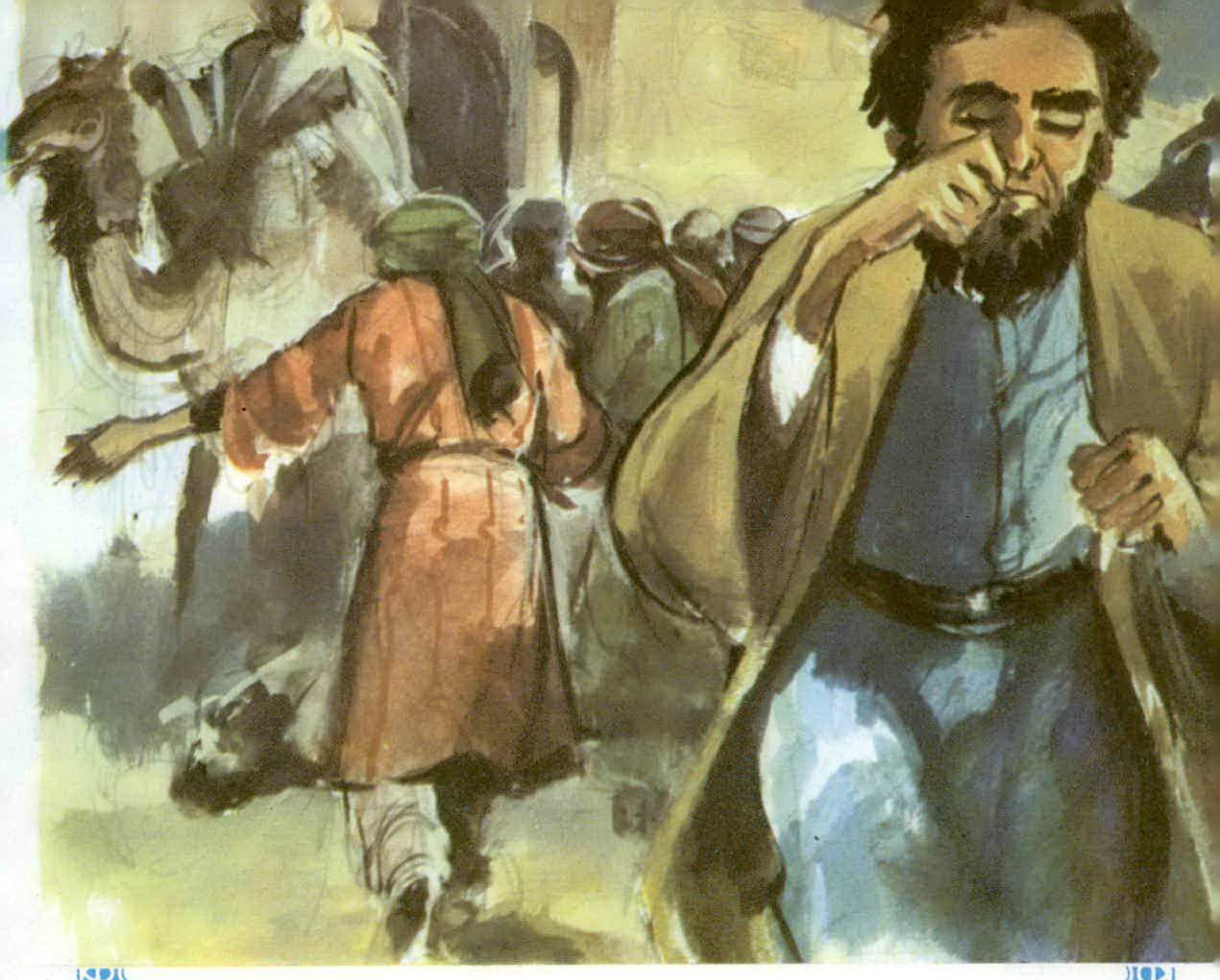

ودَبَّرْتُ لِهَذا الأمْرِ- وهو أمرٌ بَسِيطٌ جدًّا- فَبَعْدَ أنْ نَقْتُلَه والنَّاسُ نِيَامٌ ... نَحْمِلُ جُثَّتَهُ فى خفْيةٍ ونُلْقِيه على بَابِ المَدِينة ... فَإذَ أصْبَحَ الصَّباحُ . . واكْتَشَفَ النَّاسُ قَتْلَه . . نُظْهِرُ الحُزْنَ . . ونَتَّهِمُ أعدَاءَنا بأنَّهم قَتلُوه . . ونُطالِبُهم بِدِيَتِه . . لأنّه ابنُ عمِّنا . . فيكونُ كسْبُنا مُزْدَوَجًا . . نَأْخُذُ دِيَتَهُ ونَرِثُ أموالَه الكَثِيرةَ . . ونَضْمَنُ سعادَتَنا . . وسعادةَ أبْنائِنَا إلى آخرِ الدَّهْرِ . . بِتِلْكَ الثَّرواتِ الضخْمَة .

* * *

وكانَ الشَّيْطَانُ ثَالِثَهُما . . فزيَّنَ لهُما هَذِهِ الْجَرِيمَةَ . . وطَابَ لَهُمَا هَذَا الخَاطِرُ . . وحَسِبُوه خَيْرًا كثيرًا لَهُما ولأبنائِهما .

وأَخَذَ الشَّيْطانُ يَدفَعُهُمَا . . ويحرِّضُهُما على ارتكاب هذِه الجريمةِ البَشِعَةِ . . ليقتلا ابنَ عمِّهما . . طَمَعًا فى مَالِهِ . . وجَشَعًا منهما لِلاسْتِيلاءِ على ثَرْوتِه .

ونجَحَ الشَّيْطَانُ فى تَدْبِيرِه لَهُمَا . . لِيُوقِعَهُمَا فى شرِّ أعمالِهما . . فبعدَ أنْ نَامَ النّاسُ ، وخَلَتِ الشَّوارِعُ ، وسَكَنَ الليلُ . . تَسَلَّلا تحتَ جُنْحِ الظَّلامِ إلى مَنْزِلِ « عامِيل » فقتلاه . . وحملا جُثَّتَهُ إلى بَابِ المَدِينَةِ . . وطَرَحَاهُ هُناك . . ثم رَجَعَا من غَيرِ أن يَرَاهُمَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ . . ولكنَّ عينَ اللهِ ساهِرةٌ . . لا تَغفُلُ ولا تنامُ .

وفى الصَّبَاحِ . . اكْتَشَفَ الناسُ جُثَّةَ « عَامِيل » . .

وانْتَشَرَ الخَبَرُ بأنَّ عَامِيلَ وُجِدَ مَقْتُولاً . . عندَ بابِ المَدِينَةِ . . فأسْرَعَ يعقوبُ وأخوه رَعْو إلى مكانِ جُثَّةِ القَتِيل . . وهُمَا يَتَظَاهَرانِ بالحُزْنِ والأَسَى . . ويَتَصنَّعَان العَوِيلَ والبُكَاءَ على ابنِ عمِّهما . . بِدُمُوعٍ كَاذِبَةٍ . .

وتَشَاجَرَا مَعَ بَعْضِ أعْدَائِهِمَا . . واتهَمَاهُمْ بِقَتْلِهِ . . وَطَلَبَا منهم دِيَةَ ابنِ عَمِّهِمَا القَتِيلِ . فأنْكَرَ هَؤلاء المُتَّهَمُونَ أَنَّهُم قَامُوا بِهَذِهِ الجَرِيمَةِ البشعة .

ورُفِعَت القَضِيَّةُ إلى رَسُولِ اللهِ – مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ – لِيَحْكُمَ فِيهَا . . ولِيُظْهِرَ اللهُ الحقَّ على يَدَيْهِ .

يَقولُ اللهُ تعالى ... عن هذهِ الجريمة . . فى سورةِ البقرة :

﴿ وإذ قَتلتم نَفْسًا فادَّارأْتُم فيها ﴾ يعنى : اختلفتم وتنازعتم وتخاصَمتم ﴿ واللهُ مُخْرِجٌ ما كنْتُم تكْتُمون ﴾.

فهيَّا بِنَا نَرى ماذَا يَصْنع مُوسَى – عَليهِ السَّلامُ – فى هَذِهِ القضيَّةِ الغامضة . . فالقَاتِلان ابْنَا عَمِّ الْقَتِيلِ . . يتَّهِمَانِ ناسًا أبرياءَ بأَنَّهُم قَتَلُوه . . ويُطالِبَانِ بديَتِه . ولكنّ اللهَ – سُبْحَانَه – سَيُظْهِرُ الحَقِيقَةَ على يَدِ رَسُولِهِ . . لأنَّ اللهَ هو الحقُّ . . وهُوَ على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ .

* * *

اللهُ على كُلِّ شىءٍ قَدِير :

وَقَع مُوسَى – عليه السلام – فى حَيْرةٍ . . واخْتَلَطَ علَيْهِ الأمرُ . فيَعقُوبُ وأَخُوه رَعْو . . يُطَالِبَانِ بِدِيَةِ ابنِ عمِّهِمَا القتيلِ . . ويتَّهِمَانِ ناسًا بِقَتْلِهِ ،

وأَقْسَمَ المُتَّهَمُونَ أمامَ مُوسَى – عليه السَّلامُ – على أَنَّهُم لا صِلَةَ لَهُمْ بِهَذَا الحَادِثِ . . ولا مَصْلَحَةَ لَهُمْ فى قَتْلِهِ . ولا تُوجَدُ أدِلَّةٌ ولا شهودٌ توضِّحُ الحَقِيقَةَ .

فماذَا يفعلُ موسَى عليهِ السَّلام ؟ !

إنه لَجَأَ إلى اللهِ تعَالى . . لِيُظْهِرَ له ما خَفِىَ فى هذهِ الجَرِيمَةِ .

فأَوْحَى سبحانه وتعَالَى إلى موسى عليه السَّلامُ أن يَطْلُبَ منْهُمْ أَنْ يَذْبَحُوا بَقَرةً ويَضْرِبُوا القَتِيلَ بِلِسَانِها . . لتَعُودَ إليه الحَيَاةُ . . ويُخْبِرَهم عن الَّذِين قَتَلُوهُ .

يقولُ تَعالَى :

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ يعنى : اضرِبُوا الْقَتِيلَ بِجُزْءٍ منها ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِى اللهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

فقالَ لَهُمْ مُوسَى – عليه السَّلامُ – إنَّ اللهَ يَطْلُبُ منكم أنْ تَذْبَحُوا بقَرَةً . . فكانَ هذَا الطَّلَبُ عجيبًا . . بِالنِّسْبَةِ لَهُم .

جَاءُوا يَسْأَلُونَه . . لِيدُلَّهُم على القَاتِلِ الذى قَتَل عَامِيلَ . . فيأمُرُهم بِذَبْحِ بقرةٍ : ! . .

ما عَلاَقَةُ تِلكَ الجَرِيمَةِ . . بِذبحِ بَقَرَة ؟ . .

فَقالَوا : أتهزَأُ بِنَا يَانَبِىَّ اللهِ . . وَتَتَّخِذُنا سُخْرِيَةً ؟

فَقَالَ لَهُم مُوسَى – عليهِ السَّلامُ :

كيفَ أهزَأُ بكم ؟ . إنَّ الذِى يَهْزَأُ بِعبَادِ الله . . ويَسْخَرُ منهم . . يكونُ إنسانًا جَاهِلاً . . لا يَخْشَى اللهَ ، ولا يخافُ غَضَبَهُ . . ولا يعْلم أنَّ الشَّخْصَ الَّذِى يَسْتَهْزِئُ به قد يكونُ أفْضَلَ منْهُ عِنْدَ اللهِ تعالَى .

فَعَلِمُوا أنّ هَذا أمْرٌ من الله يَأمُرُهُم به . . لِيُظْهِرَ لهم حَقِيقَةَ القاتِل بعد أن يَضْرِبُوا القتيل بِلِسَانِ البقَرةِ . . بعد ذَبْحِها .

ولكنَّهُم عَجِبُوا . . ما هذه البقرة التى يَذْبَحُونَها ويَضْرِبُونَ القتيلَ بِلسانِها فتعُود إليه الحياة ويتكَلَّمُ . . ويخبرُهم عَنِ الَّذِى قَتَلَه ؟ . لابُدَّ أن تَكُونَ هَذِهِ البَقَرةُ من نَوْعٍ خاصٍّ . . ولَيْسَتْ مِن البَقَرِ الذى نَعْرِفُه .

فقالُوا :

ياموسَى اسأَلْ ربَّك عن تِلْكَ البقرةِ العجيبةِ . . حتى نَشْتَرِيَهَا . . ونَذْبَحَها . . فَدَعَا موسَى ربَّه . . وَسَأَلَهُ . . فوصَفَهَا لهم بأنَّها بقرةٌ وسَط

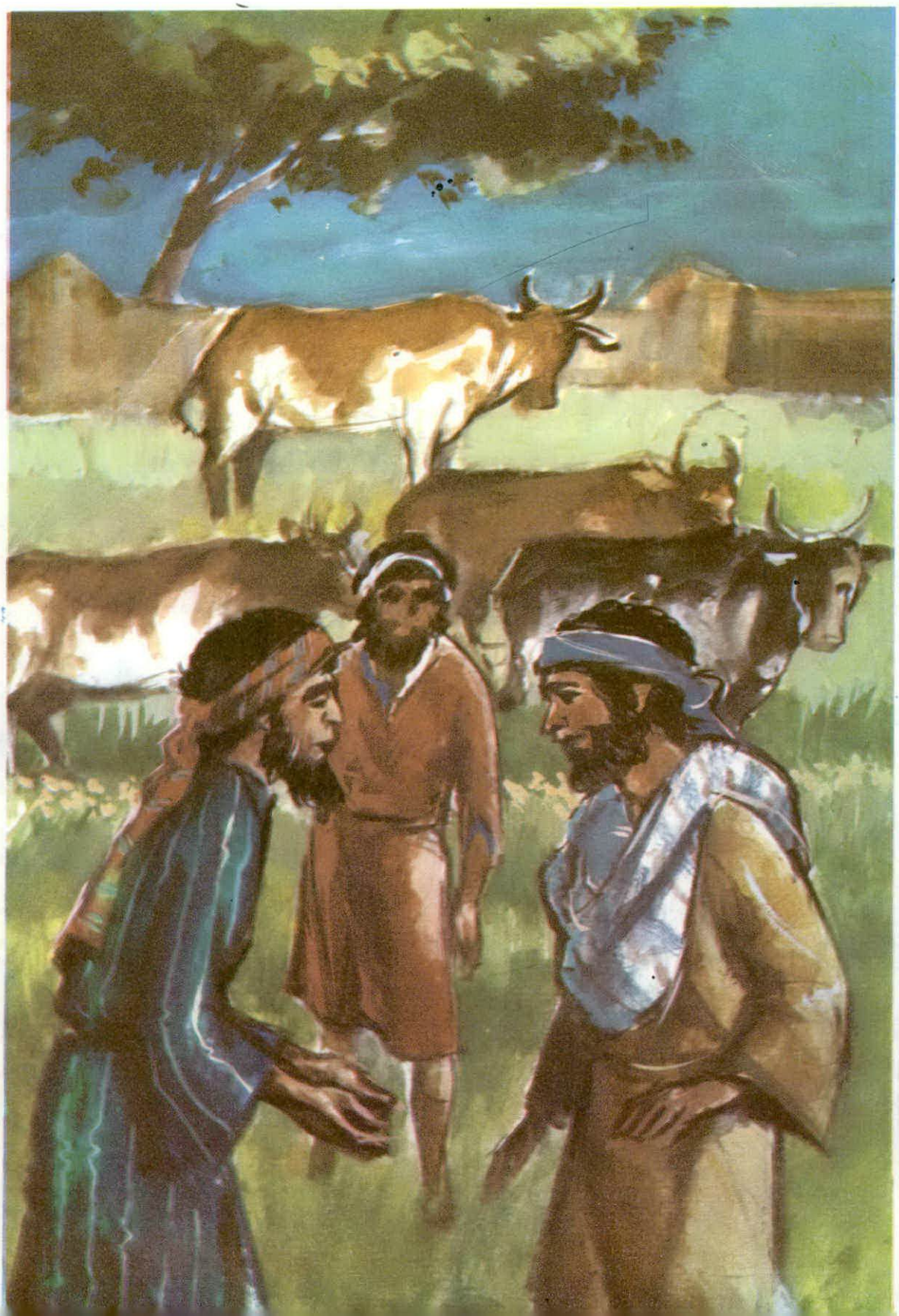

فى السِّن . . ليستْ كبيرةً عجوزًا . . وَلا حديثَةَ عَهْدٍ بِالولادَةِ . . فَذَهَبُوا للبَحْثِ عنها .

ولكنَّهم وَجَدُوا الكثيرَ من البَقَرِ . . الوَسَطِ فى السِّنِّ . . بين الكبيرةِ والصَّغِيرَة . فَعادُوا فى صَباحِ اليومِ التالِى . . يسألُونَ مُوسَى - عليه السَّلام - عَنْ لَوْنِها .

فَقَالَ لَهُم : هى صَفْراءُ . . فاقِعَةُ الصُّفْرَةِ . . تَسُرُّ الناظِرَ إليها . .

فَذَهَبُوا يبحثُونَ عَنها . . . . ولكنَّهُمْ وَجدُوا كثيرًا مِنَ البقرِ . . الوَسَطِ فى السِّن . . الأصْفَرِ اللَّونِ . . فَتَحيَّرُوا . . أيُّها يَشْتَرُونَ؟

* * *

فَعَادُوا إلى مُوسَى - عليه السَّلامُ - للمرَّةِ الثَّالِثَةِ . . يَسْأَلُونَهُ قَائِلِينَ : يَا مُوسى . . لقد اخْتَلَطَ عَلَيْنا الأمرُ . . فقد وَجَدْنا الكثيرَ من البقرِ العَوانِ (المتوسِّط السِّن) . صُفْر الألْوانِ . . فأيُّها نَذْبَحُ ؟ .

يَقُولُ اللهَ تَعَالَى :

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَنَا ما هِىَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَه عَلَيْنا وإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾

فى هٰذِهِ المَرَّةِ . . قالُوا ﴿ إنَّا إنْ شَاءَ اللهُ لَمُهْتَدُونَ ﴾ فَهَداهُم اللهُ .

لأنَّك إذَا قُلْتَ فى أىِّ أَمْرٍ : إن شَاءَ اللهُ . . كانَ اللهُ لَكَ فيه نُورًا وهُدًى . . ومُوَفِّقًا ومُعِينًا . سألَ مُوسَى اللهَ تعالى . . فَأَخْبَرَهُ أنَّها بقرةٌ لَمْ تُسْتَعْمَل فى حَرْثِ الأرضِ . . أو سَقْى الزَّرْعِ . . ولم تُدَرَّبْ على أىِّ عمل مِنَ الأَعْمَالِ التى يُسْتَخْدَم فِيهَا البَقَرُ . كَمَا أَخْبَرَهُم أنَّه لا يُوجَدُ أىّ

عَيْبٍ فى جِسْمِها . . ولا يُوجَدُ فى جِلدِها أىُّ لونٍ خلافَ الأصْفَرِ الفَاقِعِ . .

البقرة العجيبة

وهكذا بَيَّنَ اللهُ تَعالَى لِبَنى إسْرَائِيلَ صِفَاتِ البقرة الَّتِى يذبَحُونَها . . ويَضْرِبُونَ القَتِيلَ بلِسَانِها . . فَيَقُوم حَيًّا بإذنِ اللهِ . . ويَتَكَلَّم ويُخْبِرهم عنِ الَّذِينَ قَتَلُوه .

أَخَذَ بَنُو إسْرَائِيلَ يَبْحَثُونَ عن بَقَرةٍ وَسَط فى السِّن . .لا هى كبيرةٌ . . ولا هى صغيرةٌ . . كمَا أَنَّهَا صَفْرَاء فَاقِعٌ لونُهَا . . تَسُرُّ الناظرَ إلَيْها بِجمَالِ لَوْنِهَا . . وشِدَّةِ النُّورِ الَّذِى يَخْرُجُ من جِلْدِها . . وكأَنَّهُ مِنْ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ .

وهى أيْضًا تَرَبَّتْ فى مَكَانٍ بعيدٍ عن الناسِ .. لَمْ تحرُثْ أرضًا .. ولم تَسْقِ زَرْعًا .. ولم تُدَرَّبْ على أىِّ عملٍ من الأعمال التى يُسْتَخْدَمُ فيها البَقَرُ . . ولا يُوجَدُ فى جِسْمِها أىُّ عَيبٍ . . أو أىُّ لونٍ يخالِفُ الأصْفَر الفَاقِعَ الجَميل .

وهذه هِى الصِّفاتُ الَّتِى حَدَّدَها اللهُ تعالى لهمْ عَنِ البَقَرةِ المَطْلُوبَةِ .

أَخَذَ بَنُو إسْرائِيلَ يَبْحَثُونَ عَن البقَرةِ . . التى تَحْمِلُ كُلَّ هَذِه الصِّفات . .

فأتعَبَهُمْ البَحْثُ . . وكُلَّمَا عَثُرُواعَلَى بَقَرةٍ . . وَجَدُوا فيهاَ نقصًا فى بَعْضِ الصِّفَاتِ المَطْلُوبَةِ . . حَتَّى وَجَدُوا بَقَرةَ لاَوَى بنِ عُوفيد . وكان فيهَا جميعُ الصِّفاتِ التى يَبْحَثُونَ عَنْها فَسَاوَمُوه عَلَى شِرائِها .

وكانَتْ أمُّ لاَوَى قد طَلَبَتْ منه أَنْ يبيعَ البَقَرَة ولكنْ لا يَبِيعُها إلا بعدَ مُوافقَتِها على الثَّمَنِ .

والْتَزَمَ « لاَوى » بطَلَبِ أمِّه . . فهو لا يَعْصى لَهَا أمْرًا . . فَضَاعَفَ له بنو إسرائيلَ فى ثَمَنِ البَقَرةِ . . من ثَلاثَةِ دَنَانِير . . إلى اثْنَى عَشَر دِينَارًا . .

وكان فى كُلِّ مَرَّةٍ . . يَعُودُ إلى أُمِّه لِيَحْصُلَ على مُوافَقَتِها . . فَلا تُوافِق . حتى اشْتَرَوْهَا منه أخيرًا بِمِلْءِ جِلْدِهَا ذَهَبًا . ثم ذَبَحُوهَا . . وأخَذُوا لِسَانَها . . فَضَرَبُوا بِهِ القَتِيلَ .

وإذَا بِهِمْ يَجِدُونَ القَتِيلَ قد قَامَ حَيًّا بإذْنِ اللهِ ، والدِّمَاءُ تَسِيلُ من مَكانِ ذَبْحِهِ . . وقَالَ : « قَتَلَنِى يَعْقُوبُ وَرَعْوُ ابنَا عَمِّى . . ثم سَقَطَ ميِّتًا . »

يَقُولُ تَعَالى :

﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِى اللهُ الْمَوْتَى ويُرِيكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ فَحَكَمَ مُوسَى - عَلَيهِ السَّلامُ - على يَعْقُوبَ ورَعْو بالقَتْلِ ، وحُرِما من المِيرَاثِ .

حَقًّا . . إنّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قديرٌ . .

واللهُ سُبحانَه وَتعالَى يَحْكِى هَذِهِ القِصَّةَ العَجِيبَةَ فى القُرآنِ الكَرِيمِ - فى سُورَةِ البقرَة - فيَقُول :

بسم الله الرحمن الرَّحيم :

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾

صدق الله العظيم

عجائب المخلوقات في كتاب الله

صدر منها:

١ - البقرة العجيبة

٢ - التابوت الطائر

٣ - ناقة الله

٤ - عصا موسى

٥ - العِجل الذهب

٦ - شجرة يونس

رقم الإيداع	٩٩ /٢١٣٩
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-5737-0

٧/٩٨/٦٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)